متون العقيدة والتوحيد



ويليه



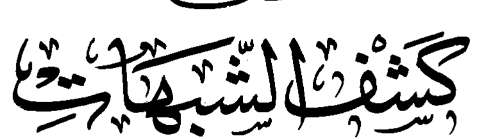
متن

القواعد الأربعة

ويليه

(٣)





لشيخ الإسلام المجدد
محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله تعالى
١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ

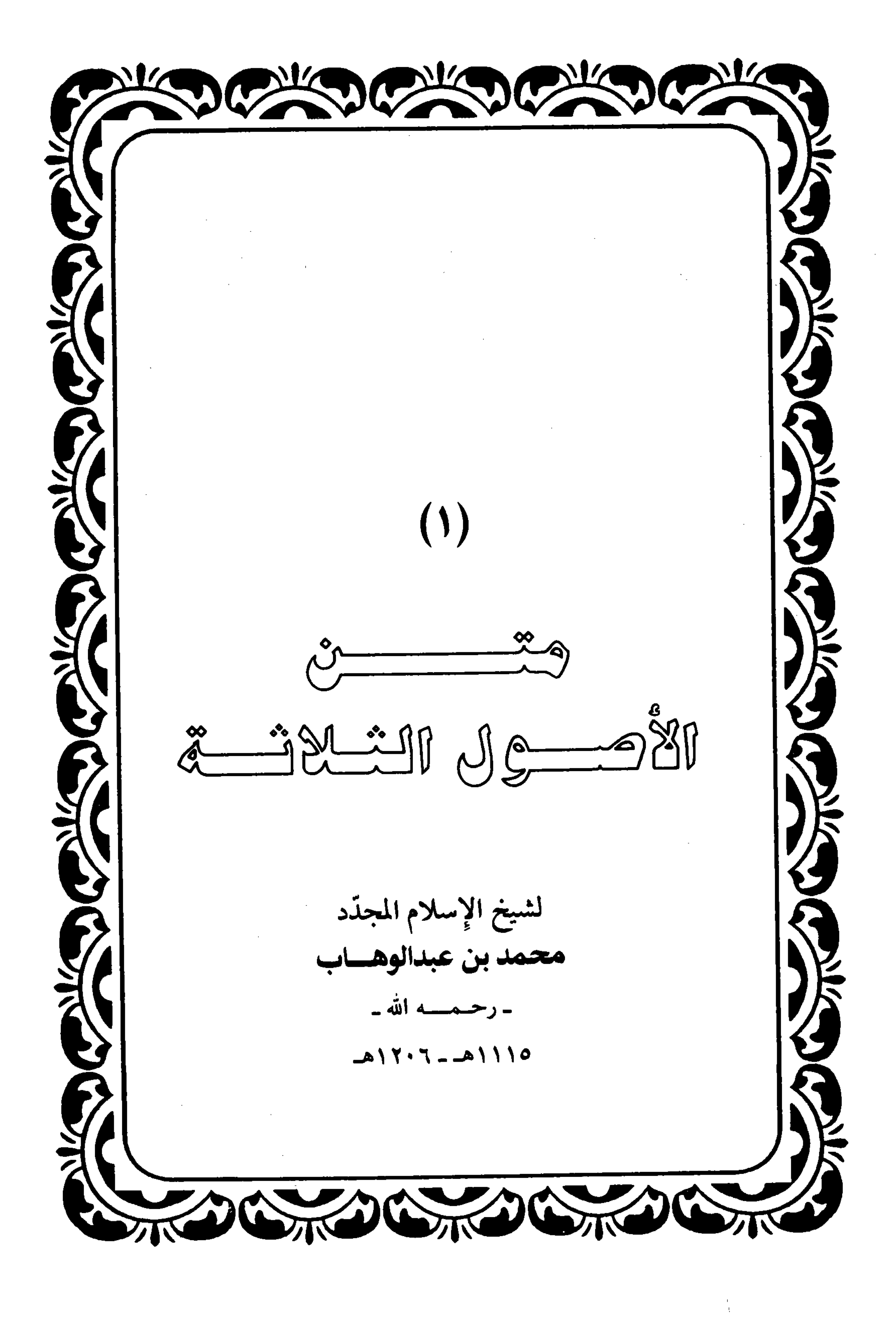
دار الصميعي
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الصميعي للنشر والتوزيع
هاتف وفاكس: ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩
الرياض - السويدي - شارع السويدي العام
ص.ب: ٤٩٦٧ - الرمز البريدي ١١٤١٢
المملكة العربية السعودية



(١)

متن الأصول الثلاثة

لشيخ الإسلام المجدّد

محمد بن عبدالوهاب

- رحمه الله -

١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم - رحمك الله - أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

الأولى: العلم، وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

الثانية: العمل به.

الثالثة: الدعوة إليه.

الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

والدليل قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم **﴿والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾**. [سورة العصر].

قال الشافعي - رحمه الله تعالى: «لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم».

وقال البخاري - رحمه الله تعالى -: باب العلم قبل القول والعمل، والدليل قوله تعالى: **﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾**. [سورة محمد، الآية: ١٩].

فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

اعلم - رحمك الله - أنه يجب على كل مسلم ومسلمة، تعلم هذه الثلاث المسائل، والعمل بهن:

الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

والـدليل قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا * فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً﴾. [سورة المزمل، الآية: ١٥].

الثـانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل.

والدليل قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾. [سورة الجن، الآية: ١٨]

الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب.

والدليل قوله تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا ءاباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إنَّ حزب الله هم المفلحون﴾. [سورة المجادلة، الآية: ٢٢].

اعلم ـ أرشدك الله لطاعته ـ أن الحنيفية ملة إبراهيم، أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعـالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، [سورة الذاريات، الآية: ٥٦]. ومعنى ﴿يعبدون﴾ يوحدون وأعظم ما أمر الله به: التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة وأعظم ما نهى عنه: الشرك، وهو دعوة غيره معه.

والدليل قوله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾. [سورة النساء، الآية: ٣٦].

فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟

فقل: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمداً ﷺ.

فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه.

والدليل قوله تعالى: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ [سورة الفاتحة: الآية: ١].

وكل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم.

فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السموات السبع، والأرضون السبع، ومن فيهن وما بينهما.

والدليل قوله تعالى: ﴿**ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون**﴾. [سورة فصلت: ٣٧]. وقوله تعالى: ﴿**إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**﴾. [سورة الأعراف، الآية: ٥٤]. والرب هو: المعبود.

والدليل قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون**﴾. [سورة البقرة، الآيتان: ٢١، ٢٢].

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: «الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة».

وأنواع العبادة التي أمر الله بها، مثل الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها، كلها لله تعالى.

والدليل قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾. [سورة الجن، الآية: ١٨].

فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر.

والدليل قوله تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾. [سورة المؤمنون، الآية: ١١٧].

وفي الحديث: «الدعاء مخ العبادة».

والدليل قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾. [سورة غافر، الآية: ٦٠].

ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾. [سورة آل عمران، الآية: ١٧٥].

ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾. [سورة الكهف، الآية: ١١٠].

ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾. وقوله: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾. [سورة الطلاق، الآية: ٣].

ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾. [سورة الأنبياء، الآية: ٩٠].

ودليل الخشية قوله تعالى: ﴿فلا تخشوهم واخشوني﴾. [سورة البقرة، الآية: ١٥٠].

ودليل الإنابة قوله تعالى: ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ﴾. [سورة الزمر، الآية: ٥٤].

ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾. [سورة الفاتحة، الآية: ٤]. وفي الحديث: «إذا استعنت فاستعن بالله».

ودليل الاستعاذة قوله تعالى: ﴿قل أعوذ برب الناس﴾. [سورة الناس، الآية: ١].

ودليل الاستغاثة قوله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾. [سورة الأنفال، الآية: ٩].

ودليل الذبح قوله تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾. [سورة الأنعام، الآية: ١٦٣]. ومن السنة: «لعن الله من ذبح لغير الله».

ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا﴾. [سورة الإنسان، الآية: ٧].

الأصل الثاني: معرفة دين الاسلام بالأدلة، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، وهو ثلاث مراتب:

الإسلام، والإيمان، والإحسان. وكل مرتبة لها أركان.

فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

فدليل الشهادة قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾. [سورة آل عمران، الآية: ١٨]

ومعناها: لا معبود بحق إلا الله وحده (لا إله) نافياً جميع ما يعبد من دون الله.

(إلا الله) مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له شريك في ملكه.

وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: ﴿**وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون**﴾. [سورة الزخرف، الآيات: ٢٦ ـ ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾. [سورة آل عمران، الآية: ٦٤].

ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾. [سورة التوبة، الآية: ١٢٨].

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**﴾. [سورة البينة، الآية: ٥].

ودليل الصيام قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾. [سورة البقرة، الآية: ١٨٣].

ودليل الحج قوله تعالى: ﴿**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين**﴾. [سورة آل عمران، الآية: ٩٧].

المرتبة الثانية: الإيمان: وهو بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

وأركانه ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.

والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى:

﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾. [سورة البقرة، الآية: ١٧٧].

ودليل القدر قوله تعالى: **﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾**. [سورة القمر، الآية: ٤٩].

المرتبة الثالثة: الإحسان: ركن واحد، وهو «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

والدليل قوله تعالى: **﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾**. وقوله تعالى: **﴿وتوكل على العزيز الرحيم * الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين * إنه هو السميع العليم﴾**. [سورة الشعراء، الآيات: ٢١٧ - ٢٢٠]. وقوله تعالى: **﴿وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾**. [سورة يونس، الآية: ٦١].

والدليل من السنة: حديث جبرئيل المشهور عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام. فقال: «**أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم

رمضان، وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا». فقال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره» قال: صدقت قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال: فأخبرني عن الساعة قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل». قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان» قال: فمضى. فلبثنا مليًّا. فقال: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «هذا جبرئيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم».

الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ، وهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام. وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيًّا رسولاً. نُبيء بـ (اقرأ) وأرسل بـ (المدثر). وبلده مكة، بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد. والدليل قوله تعالى: ﴿يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر﴾. [سورة المدثر، الآية: ١ - ٧].

ومعنى ﴿قم فأنذر﴾ ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد ﴿وربك فكبر﴾ عظمه بالتوحيد ﴿وثيابك فطهر﴾ أي طهر أعمالك عن الشرك ﴿والرجز فاهجر﴾ الرجز: الأصنام، وهجرها تركها وأهلها والبراءة منها وأهلها، أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد. وبعد العشر عرج به

إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة.

والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام. وهي فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة: والدليل قوله تعالى: ﴿**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا * إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً**﴾. [سورة النساء، الآيات: ٩٧ - ٩٩]. وقوله تعالى: ﴿**يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون**﴾. [سورة العنكبوت، الآية: ٥٦].

قال البغوي - رحمه الله -: «سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين في مكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان».

والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**».

فلما استقر بالمدينة، أمر ببقية شرائع الإسلام، مثل الزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والأذان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام. أخذ على هذا عشر سنين. وبعدها توفي،

صلاة الله وسلامه عليه، ودينه باق وهذا دينه لا خير إلا دلَّ الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه، والخير الذي دلها عليه: التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه. والشر الذي حذرها منه: الشرك وجميع ما يكرهه الله ويأباه. بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض طاعته على جميع الثقلين: الجن والإنس.

والدليل قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾. [سورة الأعراف، الآية: ١٥٨].

وأكمل الله به الدين.

والدليل قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾. [سورة المائدة، الآية: ٣].

والدليل على موته ﷺ قوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون * ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾. [سورة الزمر، الآيتان: ٣٠، ٣١]. والناس إذا ماتوا يبعثون.

والدليل قوله تعالى: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾. [سورة طه، الآية: ٥٥]. وقوله تعالى: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً﴾. [سورة نوح، الآيتان: ١٧، ١٨].

وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم.

والدليل قوله تعالى: ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى﴾. [سورة النجم، الآية: ٣١] ومن كذب بالبعث كفر.

والدليل قوله تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾. [سورة التغابن، الآية: ٧]. وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين.

والدليل قوله تعالى: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾. [سورة النساء، الآية: ١٦٥].

وأولهم نوح عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ وهو خاتم النبيين.

والدليل على أن أولهم نوح ـ عليه السلام ـ قوله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾. [سورة النساء، الآية: ١٦٣].

وكل أمة بعث الله إليها رسولاً من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت.

والدليل قوله تعالى: **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾**. [سورة النحل، الآية: ٣٦]. وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «الطاغوت ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود، أو متبوع، أو مطاع».

والطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عبد وهـو راض، ومن دعـا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله.

والدليل قوله تعالى: **﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾**. [سورة البقرة، الآية: ٢٥٦]. وهذا هو معنى (لا إله إلا الله).

وفي الحديث: **«رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»**.

والله أعـلــــــم.

**** تمت الأصول الثلاثة ****



(٢)

متن القواعد الأربع

لشيخ الإسلام

المجدّد

محمد بن عبد الوهاب

ـ رحمه الله ـ

١١١٥هـ ـ ١٢٠٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركاً أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة.

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، كما قال تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**. [سورة الذاريات، الآية:٥٦]. فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله الذي قال الله تعالى فيه: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾**[سورة النساء، الآية:١١٦]. وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه:

القاعدة الأولى: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بأن الله تعالى هو الخالق المدبر وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام.

والدليل قوله تعالى: **﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾**. [سورة يونس، الآية:٣١].

القاعدة الثانية: أنهم يقولون: ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة.

فدليل القربة قوله تعالى: ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار**﴾. [سورة الزمر، الآية: ٣].

ودليل الشفاعة قوله تعالى: ﴿**ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾. [سورة يونس، الآية: ١٨].

والشفاعة شفاعتان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة. فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

والدليل قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون**﴾. [سورة البقرة، الآية: ٢٥٤]. والشفاعة المثبتة هي التي تُطلب من الله، والشافع مكرم بالشفاعة، والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن، كما قال تعالى: ﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**﴾. [سورة البقرة، الآية: ٢٥٥].

القاعدة الثالثة: أن النبي ﷺ ظهر على أناس متفرقين في عبادتهم: منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين. ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر. وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم.

والدليل قوله تعالى: ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**﴾. [سورة الأنفال، الآية: ٣٩].

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى: ﴿**ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون**﴾. [سورة فصلت، الآية: ٣٧].

ودليل الملائكة قوله تعالى: ﴿**ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً**﴾.

ودليل الأنبياء قوله تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾. [سورة المائدة، الآية: ١١٦].

ودليل الصالحين قوله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾. [سورة الإسراء، الآية: ٥٧].

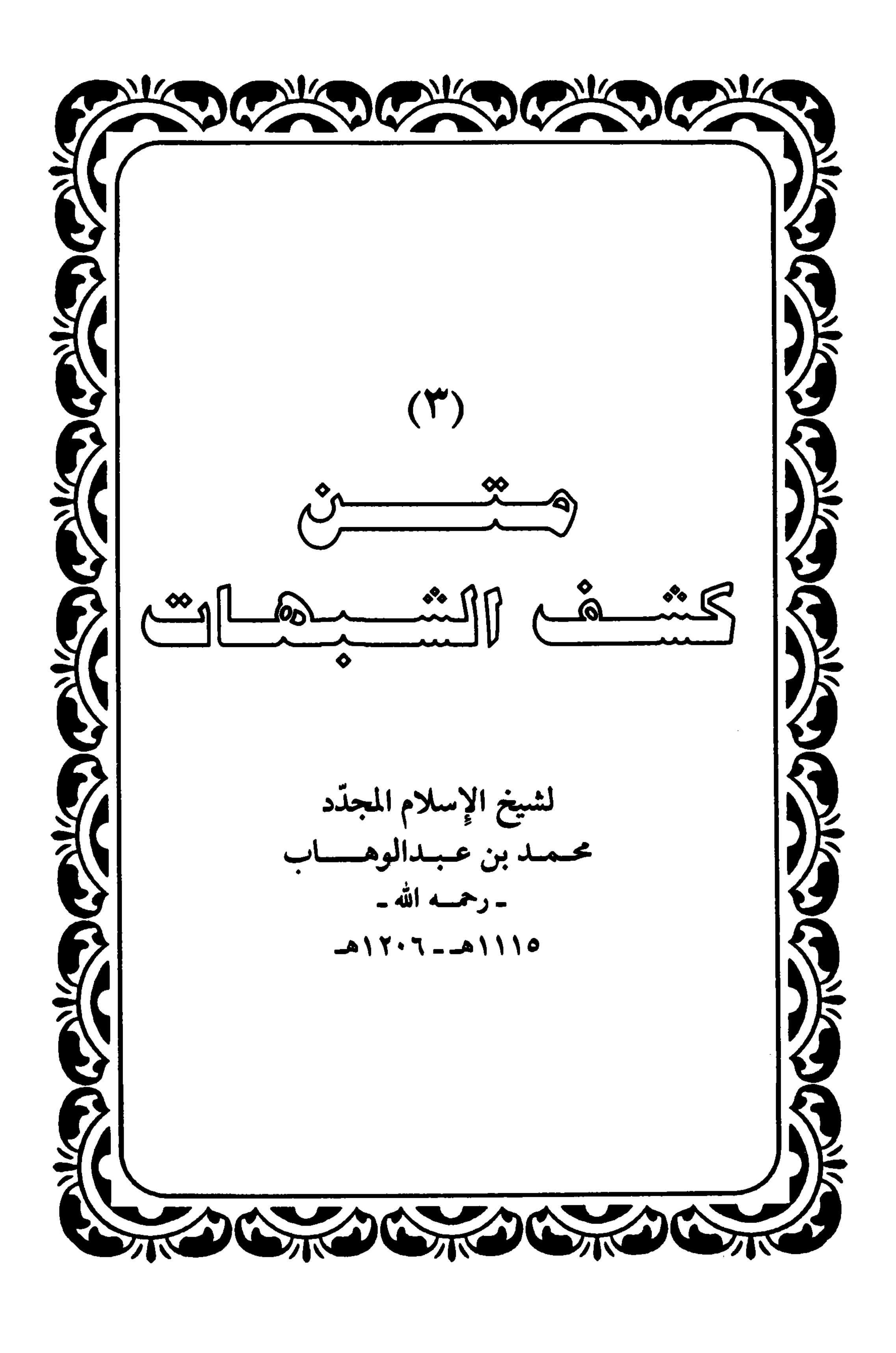
ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾. [سورة النجم، الآيتان: ١٩، ٢٠]. وحديث أبي واقد الليثي ـ رضي الله عنه ـ قال: «خرجنا مع النبي ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط» الحديث.

القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة.

والدليل قوله تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾. [سورة العنكبوت، الآية: ٦٥].

تمت وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

* * *



(٣)

متن
كشف الشبهات

لشيخ الإسلام المجدّد
محمد بن عبدالوهاب
- رحمه الله -
١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم ـ رحمك الله ـ أن التوحيد هو: إفراد الله سبحانه بالعبادة. وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده، فأولهم نوح عليه السلام، أرسله إلى قومه لما غلوا في الصالحين: وداً، وسواعاً، ويغوث، ويعوق، ونسراً.

وآخر الرسل محمد ﷺ، و هو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون، ويذكرون الله كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله.

يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة، وعيسى ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين، فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله، لا يصلح منه شيء لغير الله، لا لملك مقرَّب، ولا لنبي مرسل، فضلاً عن غيرهما. وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحي ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السموات ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن، كلهم عبيده، وتحت تصرفه وقهره.

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا، فاقرأ قوله تعالى:

﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض، أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ومن يدبر الأمر؟، فسيقولون الله، فقل أفلا تتقون﴾. [سورة يونس، الآية: ٣١].

وقوله: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾. [سورة المؤمنون، الآيات: ٨٤ ـ ٨٩]. وغير ذلك من الآيات.

فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا، ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم اليه رسول الله ﷺ. وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه، هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد.

كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات، أو نبياً مثل: عيسى. وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم الى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال الله تعالى: ﴿فلا تدعوا مع الله أحداً﴾. [سورة الجن، الآية: ١٨].

وقال تعالى: ﴿له دعوة الحق، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء﴾. [سورة الرعد، الآية: ١٤].

وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والذبح كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع أنواع العبادات كلها لله.

وعرفت: أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة، والأنبياء والأولياء، يريدون شفاعتهم، والتقرب إلى الله بذلك، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم؛ عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون.

وهذا التوحيد، هو معنى قولك: (لا إله إلا الله)، فإن الإله عندهم

هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان ملكاً، أو نبياً، أو ولياً، أو شجرة، أو قبراً، أو جنياً، لم يريدوا أن الإله هو الخالق، الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده، كما قدمت لك.

وإنما يعنون بالإله، ما يعني المشركون في زماننا بلفظ «السيد»، فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد، وهي: (لا إله إلا الله).

والمراد من هذه الكلمة معناها، لا مجرد لفظها.

والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة، هو: إفراد الله تعالى بالتعلق، والكفر بما يعبد من دون الله، والبراءة منه، فإنه لما قال لهم قولوا: (لا إله إلا الله)، قالوا: ﴿**اجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب**﴾. [سورة ص، الآية: ٥].

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام، وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها، من غير إعتقاد القلب لشيء من المعاني.

والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق، ولا يرزق، إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله.

فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله).

إذا عرفت ما ذكرت لك معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾. [سورة النساء، الآية: ٤٨]. وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل، من أولهم إلى آخرهم، الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا، أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته، كما قال الله تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾. [سورة يونس، الآية: ٥٨].

وأفادك ـ أيضاً ـ الخوف العظيم.

فإنـك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل، فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى، كما ظن المشركون خصوصاً إن ألهمك الله ما قص عن قوم موسى مع صلاحـهم وعلمهم أنهم أتـوه قائـلـين: ﴿إجعـل لنـا إلـهـا كما لهم آلهـة﴾. [سـورة الأعراف، الآية: ١٣٨]، فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله.

واعلم أن الله سبحانه ـ من حكمته ـ لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال الله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾[سورة الأنعام، الآية: ١١٢].

وقد يكـون لأعـداء التـوحـيـد عـلـوم كـثـيـرة، وكـتـب وحـجـج، كـمـا قال الله تعالى: ﴿فـلـمـا جـاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم﴾. [سورة غافر، الآية: ٨٣].

إذا عرفت ذلـك، وعرفت أن الطريق الى الله، لابد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير سلاحاً لك تقاتل به هؤلاء الشياطين، الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل: ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم * وعن أيمانهم وعن شمائلهم * ولا تجد أكثرهم شاكـرين﴾[سـورة الأعـراف، الآيات: ١٥ ـ ١٧]. ولكن إذا أقبلت على الله،

وأصغيت إلى حججه وبيناته، فلا تخف ولا تحزن، ﴿**إن كيد الشيطان كان ضعيفا**﴾. [سورة النساء، الآية: ٧٦].

والعامي من الموحدين، يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: ﴿**وإن جندنا لهم الغالبون**﴾[سورة الصافات، الآية: ١٧٣].

فجند الله هم الغالبون، بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح.

وقد منَّ الله علينا بكتابه الذي جعله ﴿**تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**﴾. [سورة النحل، الآية: ٨٩] فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها، ويبين بطلانها، كما قال تعالى: ﴿**ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً**﴾[سورة الفرقان، الآية: ٣٣].

قال بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة. وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا، فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل، ومفصل.

أما المجمل: فهو الأمر العظيم، والفائدة الكبيرة لمن عقلها، وذلك قوله تعالى: ﴿**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله**﴾. [سورة آل عمران، الآية: ٧].

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**».

مثال ذلك إذا قال بعض المشركين: ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾. [سورة يونس، الآية: ٦٢].

وأن الشفاعة حق.

وأن الأنبياء لهم جاه عند الله.

أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره، فجاوبه بقولك:

إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه، وما ذكرته من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء، مع قولهم: ﴿**هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾. [سورة يونس، الآية: ١٨].

هذا أمر محكم بيِّن لا يقدر أحد أن يغير معناه.

وما ذكرت لي أيها المشرك من القرآن، أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه ولكن اقطع أن كلام الله لا يتناقض وأن كلام النبي ﷺ، لا يخالف كلام الله.

وهـذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمـه إلا من وفقه الله، فلا تستهن به فإنه كما قال تعالى: ﴿**وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**﴾[سورة فصلت، الآية: ٣٥].

فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل، يصدون بها النـاس عنه، منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق، ولا ينفع ولا يضر، إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسـه نفعـاً ولا ضراً، فضـلاً عن عبدالقادر، أو غيره، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم.

فجـاوبه بما تقدم وهو: أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة. واقرأ

عليه ما ذكره الله في كتابه ووضحه، فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام! كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناما. فجاوبه بما تقدم.

فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة ولكن أراد أن يفرق بين فعله وفعلهم بما ذكر فاذكر له: أن الكفار منهم من يدعو الأصنام. ومنهم من يدعو الأولياء، الذين قال الله فيهم: ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب**﴾. [سورة الإسراء، الآية: ٥٧].

ويدعون عيسى بن مريم وأمه، وقد قال تعالى: ﴿**ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنّى يؤفكون قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً، والله هو السميع العليم**﴾[سورة المائدة، الآيتان: ٧٥، ٧٦].

واذكر له قوله تعالى: ﴿**ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون**﴾[سورة سبأ، الآيتان: ٤٠، ٤١].

وقوله تعالى: ﴿**وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب**﴾. [سورة المائدة، الآية: ١١٦].

فقل له: أعرفت أن الله كفر من قصد الأصنام.

وكفر أيضاً من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ، فإن قال:

الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر، لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم فالجواب أن هذا قول الكفار سواءً بسواء، واقرأ عليه قوله تعالى: ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾[سورة الزمر، الآية:٣].

وقوله تعالى: ﴿**ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾[سورة يونس:١٨].

واعلم: أن هذه الشبه الثلاث، هي أكبر ما عندهم.

فإذا عرفت أن الله وضحها لنا في كتابه، وفهمتها فهما جيداً، فما بعدها أيسر منها. فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الإلتجاء إلى الصالحين. ودعاؤهم ليس بعبادة.

فقل له: أنت تُقِّر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة لله، وهو حقه عليك. فإذا قال نعم. فقل له: بين لي هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده، وهو حقه عليك.

فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها، فبينها له بقولك: قال الله تعالى: ﴿**ادعوا ربكم تضرعا وخفية**﴾[سورة الأعراف، الآية :٥٥].

فإذا أعلمته بهذا، فقل له: هل علمت هذه عبادة لله.

فلا بد أن يقول: نعم. «والدعاء مخ العبادة».

فقل له: إذا أقرَرْت أنها عبادة، ودعوت الله ليلاً ونهاراً، خوفاً وطمعاً، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره، هل أشركت في عبادة الله غيره؟

فلا بد أنه يقول: نعم.

فقل له: فإذا عملت بقول الله تعالى: ﴿**فصل لربك وانحر**﴾[سورة الكوثر، الآية:٢]، وأطعت الله ونحرت له هل هذا عبادة؟

فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: إذا نحرت لمخلوق نبي، أو جني، أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟

فلا بد أن يُقِّر ويقول: نعم.

وقل له أيضا: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللاَّت، وغير ذلك؟

فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء، والذبح، والالتجاء، ونحو ذلك، وإلا فهم مقرون أنهم عبيده، وتحت قهره، وأن الله هو الذي يدبر الأمر، ولكن دعوهم والتجأوا اليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جداً.

فإن قال: أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ، وتتبرأ منها؟

فقل: لا أنكرها، ولا أتبرأ منها. بل هو ﷺ الشافع المشفع وأرجو شفاعته، ولكن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى: ﴿**قل لله الشفاعة جميعا**﴾[سورة الزمر، الآية:٤٤]. ولا تكون إلا من بعد إذن الله، كما قال عز وجل: ﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**﴾[سورة البقرة، الآية:٢٥٥]. ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه، كما قال عز وجل: ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾[سورة الأنبياء، الآية:٢٨].

وهو لا يرضى إلا التوحيد، كما قال عز وجل: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه**﴾[سورة آل عمران، الآية:٨٥]. فإذا كانت الشفاعة

كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ، ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد تبين لك:

أن الشفاعة كلها لله، فاطلبها منه، فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه فيَّ. وأمثال هذا فإن قال النبي ﷺ أعطى الشفاعة، وأنا أطلبه ممَّا أعطاه الله؟

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة، ونهاك عن هذا، فقال: ﴿**فلا تدعوا مع الله أحدا**﴾[سورة الجن، الآية:١٨]، فإذا كنت تدعو الله أن يشفّع نبيه فيك فأطعه في قوله: ﴿**فلا تدعوا مع الله أحداً**﴾.

وأيضًا: فإن الشفاعة أُعطيها غير النبي ﷺ، فصح أن الملائكة يشفعون، والأولياء يشفعون، والأفراط يشفعون.

أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم؟

فان قلت هذا، رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه وإن قلت: لا. بطل قولك: أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

فان قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً، حاشا وكلا، ولكن الإلتجاء إلى الصالحين ليس بشرك؟

فقل له: إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا، وتقر أن الله لا يغفره فما هذا الأمر الذي حرمه الله، وذكر أنه لا يغفره، فإنه لا يدري.

فقل له: كيف تبرىء نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ أم كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه، أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا؟

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام؟ فقل له:

ما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق، وتدبر أمر من دعاها. فهذا يكذبه القرآن.

وإن قال: هو من قصد خشبة أو حجراً، أو أبنية على قبر أو غيره، يدعون ذلك ويذبحون له، ويقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى، ويدفع الله عنا ببركته، أو يعطينا ببركته. فقل: صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها.

فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، فهو المطلوب.

ويقال له أيضًا: قولك الشرك عبادة الأصنام، هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك، فهذا يرده ما ذكره الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى، أو الصالحين.

فلا بد أن يُقِّر لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين، فهو الشرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب.

وسر المسألة: أنه إذا قال أنا لا أشرك بالله، فقل له: وما الشرك بالله؟ فسره لي.

فإن قال: هو عبادة الأصنام.

فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فسرها لي.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده.

فقل: ما معنى عبادة الله وحده؟ فسرها لي.

فإن فسرها بما بينه القرآن، فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدعي شيئاً وهو لا يعرفه؟ وإن فسرَّ ذلك بغير معناه، بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه،

وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا، ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا:

﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾[سورة ص، الآية: ٥].

فإن قال: إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء، وإنما يكفرون لما قالوا: الملائكة بنات الله، فإنًا لم نقل: عبدالقادر ابن الله ولا غيره.

فالجواب: أن نسبة الولد الى الله كفر مستقل، قال الله تعالى: **﴿قل هو الله أحد * الله الصمد﴾**[سورة الاخلاص، الأيتان: ١، ٢].

والأحد: الذي لا نظير له.

والصمد: المقصود في الحوائج، فمن جحد هذا فقد كفر، ولو لم يجحد السورة.

وقال الله تعالى: **﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله﴾**[سورة المؤمنون، الآية: ٩١].

ففرق بين النوعين، وجعل كلا منهما كفراً مستقلاً.

وقال تعالى: **﴿وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم﴾**[سورة الأنعام، الآية: ١٠٠]. ففرق بين كفرين.

والدليل على هذا أيضاً: أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجلاً صالحاً لم يجعلوه ابن الله، والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك.

وكذلك أيضاً العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في (باب حكم المرتد): أن المسلم إذا زعم أن لله ولداً فهو مرتد، ويفرقون بين النوعين، وهذا في غاية الوضوح.

وإن قال: **﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**[سورة يونس، الآية: ٦٢].

فقل: هذا هو الحق، ولكن لا يُعبدون. ونحن لم نذكر(١) إلا عبادتهم مع الله وشركهم معه وإلا فالواجب عليك حبهم واتباعهم، والإقرار بكرامتهم.

ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال، ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين.

فإذا عرفت: أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا [كبير الاعتقاد] هو الشرك الذي نزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه.

فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء.

كما قال تعالى: ﴿**وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا**﴾[سورة الإسراء، الآية: ٦٧].

وقوله: ﴿**قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة، أغير الله تدعون إن كنتم صادقين * بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء، وتنسون ما تشركون**﴾. [سورة الأنعام، الآيتان: ٤٠، ٤١].

وقوله: ﴿**وإذا مسّ الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه**﴾ إلى قوله: ﴿**قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار**﴾[سورة الزمر، الآية: ٨].

وقوله: ﴿**وإذا غشيهم موج كالظُّلَلِ دعوا الله مخلصين له الدين**﴾. [سورة لقمان، الآية: ٣٢].

فمن فهم هذه المسألة التي وضَّحها الله في كتابه، وهي: أن المشركين

---

(١) كذا في النسخ الخطية والنسخ المطبوعة ولعل الصواب: لم ننكر.

الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله، ويدعون غيره في الرخاء، وأما في الضراء والشدة، فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون سادتهم تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين.

ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً، والله المستعان.

الأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله، إما أنبياء، وإما أولياء وإما ملائكة، أو يدعون أشجاراً أو أحجاراً، مطيعةً لله وليست عاصية.

وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة، وترك الصلاة، وغير ذلك.

والذي يعتقد في الصالح أوالذي لا يعصي مثل الخشب والحجر - أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده، ويشهد به.

فإذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً، وأخف شركاً من هؤلاء فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها.

وهي: أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟

فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدَّق رسول الله ﷺ في شيء، وكذبه في شيء، أنه كافر لم يدخل في الإسلام. وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقرّ بالتوحيد، وجحد وجوب

الصلاة، أو أقرّ بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقرّ بهذا كله، وجحد الصوم، أو أقرّ بهذا كله وجحد الحج.

ولما لم يَنْقَد أناس في زمن النبي ﷺ للحج، أنزل الله في حقهم: **﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾**[سورة آل عمران، الآية:٩٧]. ومن أقرّ بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع، وحل دمه وماله، كما قال تعالى: **﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾**[سورة النساء، الآيتان: ١٥٠، ١٥١].

فإذا كان الله قد صرح في كتابه: أن من آمن ببعض وكفر ببعض، فهو الكافر حقاً، وأنه يستحق ما ذكر زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله الينا.

ويقال أيضًا : إن كنت تُقِّر أن من صدَّق الرسول ﷺ في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة، أنه كافر حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث. وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وصدق بذلك كله، لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن، كما قدمنا.

فمعلوم: أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر، ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ، واذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟

سبحان الله، ما أعجب هذا الجهل!!

ويقال أيضاً هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة؛ وقد

أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويؤذنون ويصلون.

فإن قال انهم يقولون: إن مسيلمة نبي.

فقل: هذا هو المطلوب، اذا كان من رفع رجلًا إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحل ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادتان، ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف، أو صحابياً أو نبياً إلى مرتبة جبار السموات والأرض؟

سبحان الله، ما أعظم شأنه، ﴿**كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون**﴾[سورة الروم، الآية: ٥٩].

ويقال أيضاً: الذين حرَّقهم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار كلهم يدّعون الإسلام، وهم من أصحاب علي، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في عليّ مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟

أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفِّر؟.

ويقال أيضاً: بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس، كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويدَّعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال أيضًا إذا كان الأولون لم يكفروا، إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن، وإنكار البعث، وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب: (باب حكم المرتد)، وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه؟

ثم ذكروا أنواعاً كثيرة، كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

ويقال أيضاً الذين قال الله فيهم: **﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر، وكفروا بعد إسلامهم﴾**[سورة التوبة، الآية: ٧٤].

أما سمعت الله كفَّرهم بكلمة، مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ ويجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون.

وكذلك الذين قال الله فيهم: **﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾**[سورة التوبة، الآيتان: ٦٥، ٦٦].

فهؤلاء الذين صرَّح الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمةً ذكروا أنَّهم قالوها على وجه المزح.

فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم: تكفِّرون من المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله، ويصلون ويصومون؟

ثم تأمل جوابها، فانه من أنفع ما في هذه الأوراق.

ومن الدليل على ذلك أيضاً: ما حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى: **﴿إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾**[سورة الأعراف، الآية:١٣٨]، وقول أناس من الصحابة: «**إجعل لنا ذات أنواطٍ**» فحلف النبي ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل **﴿إجعل لنا إلهاً﴾**.

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة، وهي أنهم يقولون: إن بني اسرائيل لم يكفروا بذلك.

وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ: «**إجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا**».

فالجواب: أن نقول: إن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، وكذلك الذين

سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ذلك، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا.

وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه، واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب.

ولكن هذه القصة تفيد: أن المسلم بل العالِم قد يقع في أنواع من الشرك، لا يدري عنها، فتفيد التعلم والتحرز، ومعرفة أن قول الجاهل (التوحيد فهمناه): أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان.

وتفيد ـ أيضا ـ: أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري فنبه على ذلك فتاب من ساعته، أنه لا يكفر؛ كما فعل بنو إسرائيل، والذين سألوا النبي ﷺ.

وتفيد أيضاً: أنه لو لم يكفَّر، فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً، كما فعل رسول الله ﷺ.

وللمشركين شبهة أخرى يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: لا إله إلا الله.

وكذلك قوله: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله**».

وأحاديث أخر في الكف عمن قالها.

ومراد هؤلاء الجهلة: أن من قالها لا يكفر، ولا يقتل، ولو فعل ما فعل.

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم، وهم يقولون: لا إله إلا الله، وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون ويدّعون الإسلام.

وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار، وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال: لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل، ولو قالها. فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟

ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظنَّ أنه ما ادَّعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه، حتى يتبين منه ما يخالف ذلك.

وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا**﴾. [سورة النساء، الآية: ٩٤]، أي فتثبتوا.

فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل، لقوله تعالى: ﴿**فتبينوا**﴾، ولو كان لا يقتل إذا قالها، لم يكن للتثبت معنى.

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه: أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه الى أن يتبين منه ما يناقض ذلك، والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ قال: «**أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله**»؟ وقال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**».

هو الذي قال في الخوارج: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**». مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسبيحاً، حتى أن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم (لا إله إلا الله)، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة.

وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصحابة بني حنيفة.

وكذلك أراد النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة، حتى أنزل الله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**﴾[سورة الحجرات، الآية: ٦] وكان الرجل كاذباً عليهم.

وكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي أحتجوا بها ما ذكرناه.

ولهم شبهة أخرى، وهو ما ذكر النبي ﷺ: أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذرون، حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ.

قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً

والجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه، فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال الله تعالى في قصة موسى: ﴿**فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه**﴾[سورة القصص، الآية: ١٥]، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره، في أشياء يقدر عليها المخلوق. ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء، أو في غيبتهم، في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله.

إذا ثبت ذلك: فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس، حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف.

وهذا جائز في الدنيا والآخرة، وذلك أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك، ويسمع كلامك فتقول له: ادع الله لي كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ذلك في حياته.

وأما بعد موته: فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره، بل أنكر

السلف الصالح على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف، بدعائه نفسه؟

ولهم شبهة أخرى، وهي: قصة إبراهيم لما أُلقي في النار، اعترض له جبريل في الهواء فقال له: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا.

قالوا: فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركاً لم يعرضها على إبراهيم

فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله فيه: ﴿**شديد القوى**﴾[سورة النجم، الآية:٥]، فلو أذن الله أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال، ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره أن يضع إبراهيم في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل.

وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجاً، فيعرض عليه أن يقرضه أو أن يهبه شيئاً يقضي به حاجته، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ، ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟

ولنختم الكلام - إن شاء الله تعالى - بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها، ولكثرة الغلط فيها، فنقول:

لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن أختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً.

فإن عرف التوحيد ولم يعمل به. فهو كافر معاند، كفرعون وإبليس وأمثالهما. وهذا يغلط فيه كثير من الناس، يقولون: هذا حق ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق، ولكنا لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، أو غير ذلك من الأعذار.

ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا

لشيء من الأعذار، كما قال تعالى: ﴿**اشتروا بآيات الله ثمنا قليلاً**﴾. سورة التوبـة، الآية: ٩]، وغـير ذلـك من الآيات، كقوله: ﴿**يعرفونه كما يعرفون أبنـاءهم**﴾[سورة البقرة، الآية: ١٤٦]. فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمـه أو لا يعتقـده بقلبـه فهو منافق وهو شر من الكافر الخالص ﴿**إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار**﴾. [سورة النساء، الآية: ١٤٥].

وهـذه المسـألـة مسألة كبيرة طويلة، تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس. ترى من يعرف الحق ويترك العمل به، لخوف نقص دنيا أو جاه، أو مداراة لأحد.

وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه.

ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله.

أولاهما: قوله تعالى: ﴿**لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم**﴾. [سورة التوبة، الآية: ٦٦].

فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع الرسول ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفا من نقص مال أو جاه، أو مداراة لأحد، أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها.

والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿**من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم * ذلك بأنهم استحبُّوا الحياة الدنيا على الآخرة**﴾. [سورة النحل، الآيتان: ١٠٦، ١٠٧] الآية.

فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان.

وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفاً، أو مداراةً، أو مشحة بوطنه أو أهله، أو عشيرته أو ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض، إلا المكره.

فالآية تدل على هذا من جهتين:

الأولى قوله: ﴿إلا من أكره﴾ فلم يستثن الله تعالى إلا المكره.

ومعلوم: أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام، أو الفعل، وأما عقيدة القلب فلا يكره عليها أحد.

والثانية: قوله تعالى: **﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الأخرة﴾**.

فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل، أو البغض للدين أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فآثره على الدين.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله، وصحبه وسلم.

* * *

الفهرس

